العمارة الإسلامية تلك التى تلتزم بأسس العقيدة

الشرق الأوسط 4/8/1989

الدكتور عبد الباقى ابراهيم أستاذ العمارة الاسلامية فاز فى مصر هذا العام بجائزة الدولة التشجيعية فى العمارة عن نظرية جديدة فى العمارة الاسلامية ترتبط بتقويم العمل المعمارى الاسلامى من حيث المضمون وليس الشكل فقط كما تقول نظريات الغرب والشرق منذ عشرات السنين والتى تحدد المبانى المعمارية الاسلامية بمكان وزمان فى العصور . وقد أكدت النظرية الجديدة بضرورة التزام المبنى بالقواعد العقائدية الاسلامية واعتبار الطرز المعمارية السابقة والتى تتفق والعمارة الاسلامية من حيث الشكل فقط مبانى تراثية.

وفى حديثه ل " الشرق الاوسط " يؤكد الدكتور عبد الباقى ابراهيم على أن الطرز المعمارية فى العالم العربى ما تزال تتعامل مع العمارة الاسلامية من حيث الشكل فقط ، ويطالب بتشكيل لجنة فى كل مدينة عربية تسمى لجنة " الطابع " للحفاظ على الطابع المعمارى لها.

قالت لجنة منح الجائزة أن كتاب الدكتور عبد الباقى ابراهيم " المنظور الاسلامى فى النظرية المعمارية " الفائز بالجائزة هذا العام يعتبر حجر زاوية فى الفكر الاسلامى ، ويكمل سلسلة من المؤلفات الأخرى عن التطور الاسلامى فى الاقتصاد والاجتماع والانتاج والبيئة وغيرها. وكل هذه الزوايا هى المكونة لجوانب الحضارة الاسلامية.

*ما هو الجديد فى هذه النظرية ؟

-يقول الدكتور عبد الباقى ابراهيم ، أن العمارة الاسلامية لها شقان. الأول المضمون والثانى هو الشكل . والمضمون فى العمارة الاسلامية يستند الى التعاليم والقيم الاسلامية سواء ما ورد فى القرآن الكريم أو السنة النبوية الشريفة أو اجتهادات المجتهدين . وقد تكون هذه القيم موجودة بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، تتعرف عليها بالقياس باعتبار أن العمارة على مر العصور هى انعكاس للاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية للمجتمع ، وأن العمارة انعكاس لمقومات الدين الاسلامى . وبالقياس يمكن استنباط القيم التى تؤثر أو تحدد المضمون الاسلامى للعمارة. ويوضح الدكتور عبد الباقى ذلك بقوله أن القيم التى يضعها الاسلام لبناء الانسان يمكن تطبيقها لبناء العمران. مثال ذلك منهج الوسطية فى الجوانب الاقتصادية والمعاملات وفى نشاط الانسان وحركته . وهذه الوسطية تتمثل فى الجانب التصميمى والاقتصادى للمبنى من حيث لا إسراف ولا تقتير كما يحض الاسلام على خصوصية المكان والاستئذان فى الدخول وغيرها. وكل ذلك يمكن تطبيقه بالرسم والتنفيذ للمبنى

المعمارى وتوزيع العناصر الداخلية للمسكن كما أن الدين لا يحض على الاسراف فى الزخرف ونجد ذلك الاسراف خاصة داخل المبانى العامة.

ويقول الدكتور عبد الباقى ابراهيم من خلال توضيح المعالم الاساسية لهذا المضمون الاسلامى توصلت الى القواعد العقائدية الاسلامية التى تؤثر على عمارة المبنى والعمل المعمارى ، ومن هنا ظهرت نظرية جديدة غير موجودة فى الشرق أو الغرب ترتبط بتقديم العمل المعمارى وقياسه من الناحية المعمارية الاسلامية وكيف نحكم عليه أنه مبنى اسلامى أو غير اسلامى. وحتى الآن فان مقاييس التقويم والتقييم تنصب فقط على الشكل مثل استخدام القبة والعقد والقبو والمشربية. ولكن المنهج الجديد الذى أكد عليه الكتاب هو استعمال مقاييس أخرى للتقويم وهى التزام المبنى بالأسس العقائدية . فأصبحت لدينا وسيلتان للتقويم وهما المضمون والشكل. والكتاب يركز على ضرورة تطبيق القياسات الخاصة بالمضمون ثم ننتقل الى الشكل . بتطبيق هذين المقياسين سنجد أن هناك كثيرا من المبانى تعتبر فى المنطق العام عمارة اسلامية من ناحية الشكل ولكنها من ناحية المضمون لا تتفق مع المضمون الاسلامى. وهى فى إطار النظرية الجديدة مبان تراثية جميلة فقط.

الطابع الاسلامى

*ما هو تعريفك للطابع الاسلامى فى العمارة؟

-ان الطابع يرتبط بالمضمون الاسلامى الثابت والذى لا يتغير فى أى مكان أو زمان. أما الشكل فهو المتغير بتغير المكان أو الزمان. فالشكل يتأثر بالبيئة ومواد البناء سواء تقليدية أو حديثة ويتأثر بالمناخ وغيره من الظروف ، وهذه الظروف تختلف من مكان لآأخر ، ومن زمان لآخر. فما كان فى العصور الاسلامية الاولى لا يصلح مع تكنولوجيا البناء الحديثة . فالشكل يتغير ولكن المضمون ثابت . فاذا وجدنا مبنى معاصرا يلتزم بالمضمون ويطبق أحدث انجازات العصر فى صناعة البناء فهو يعتبر عمارة اسلامية لأنه يؤكد صلاحية الفكر الاسلامى لكل زمان ومكان. ولا يتجمد بمادة البناء فى عصر من العصور أو شكل من الاشكال المعمارية لعصر من العصور لأن الدين غير متجمد والغرب هو الذى وضعنا فى هذا القالب. وهو ما أخذه عنه المسلمون والعرب فى كل العالم. حيث حددوا العمارة الاسلامية بأنها العمارة التى ظهرت فى عصور اسلامية محددة زمنيا ومكانيا وهذا يخالف الفكر الحضارى للاسلام.

ويضيف الدكتور عبد الباقى ابراهيم أن العمارة فى العالم ينظر اليها بمنظورين وهما العمارة فى الدول الاشتراكية وهى عمارة المجتمع وليس للفرد فيها أى دور ، والعمارة فى الغرب وهى نتاج الفرد " المعمارى " فنجد فن العمارة المفرد. أما فى المنهج الاسلامى فهو ليس بالمفهوم الجماعى أو المفرد ولكنها بين بين بمعنى الوسطية . فالمبنى من الخارج ملك المجتمع ، وفى الداخل ملك الفرد ، فما يطلبه المجتمع فى خارج المبنى يخضع لاتفاق الجماعة أما فى الداخل فهو من خصوصيات الفرد ، وذلك هو ما نركز عليه اليوم فى موضوع الطابع.

*وهل تنطبق هذه النظرية على المبانى الاسلامية فى العالم العربى اليوم؟

-أن كل ما ظهر فى هذا الاتجاه لا تزال تعامل المبنى من الناحية الشكلية فقط من الخارج ، وهناك محاولات توحيد اللون من الخارج مثل اللون الابيض واستخدامات الخشب فى المنازل مثل المشربيات ، أما مضمون المبنى الاسلامى فلا يلتزم به أحد لانها لم تكن موجودة من قبل هذا الكتاب وهذا أول كتاب فى العالم يعكس كل النظريات المعمارية فى العالم عن مفهوم العمارة الاسلامية. وحتى يمكن التزام المبانى الآن بأسلوب العمارة الاسلامية الصحيح أقترح تشكيل لجنة تسمى لجنة "الطابع" فى كل مدينة عربية واسلامية يتم عرض المشروعات المعمارية عليها قبل تنفيذها لابداء رأيها واجراء التعديلات اللازمة حتى يكون المبنى معمارا اسلاميا من حيث الشكل والمضمون.

*وهل لك مؤلفات أخرى فى هذا المجال ؟

-كتبت قبل ذلك كتاب " المنظور التاريخى لعمارة الشرق العربى" ، وهو محاولة لتأصيل الخلفية الحضارية للعمارة العربية فالطلاب والأساتذة فى الجامعات يدرسون تاريخ العمارة من العصر الفرعونى الى الرومانى مرورا بالعصور الوسطى وعصر النهضة وحتى الثورة الصناعية ، ويدرسون بسرعة جزءا بسيطا عن العمارة الاسلامية ، وهذا يعنى أن المدارس تتبع خط الحضارة الغربية أو العمارة الغربية . ويفقد بذلك العمق التاريخى للعمارة المحلية . والكتاب يحاول تقديم منظور تاريخى لعمارة الشرق العربى من فجر التاريخ حتى اليوم وكيف تأثرت بالحقائق الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والبيئية على مر العصور حتى يكون المعمارى العربى عالما بالخلفية الحضارية للعمارة العربية.

وكذلك كتاب عن المعماريين العرب فيه نقد لنظرية المهندس حسن فتحى . وكتاب عن بناء الفكر المعمارى وكتاب عن تأصيل القيم الحضارية فى بناء المدينة الاسلامية ، وهو محاولة لوضع كافة التصورات والافكار والاقتراحات التى تمت مناقشتها فى المؤتمرات والندوات الدولية عن العمارة الاسلامية وأسلوب تحويل هذه الاقتراحات الى واقع عملى. كما أشرفت بحكم عملى كمدير "لمركز الدراسات التخطيطية والمعمارية" على عدد من المؤلفات فى هذا المجال منها كتاب " الاسكان فى المدينة الاسلامية والارتقاء بالبيئة العمرانية للمدن ".